

قراءة في مفهوم الانتحار

صالح سقني

نور الدين يوسف

جامعة محمد خيضر - بسكرة

جامعة محمد خيضر - بسكرة

مقدمة:

يعتبر الانتحار من أخطر الظواهر وأغربها في مجتمعاتنا العربية إذ أن هذه الظاهرة استفحلت بشكل رهيب على أساس أنها تمس حق من الحقوق العامة ألا وهو الحق في الحياة ، والشيء الذي يجعلنا ندق ناقوس الخطر هو لما تتعلق المسألة بفئة الأطفال والتي تعتبر النواة الأولى للمجتمع الإنساني وأساس تواجده وامتداده عبر العصور، كما أن هاته الفئة بسبب صغر سنها تحتاج إلى الرعاية والحماية من جميع الجوانب باعتبارها أن ذلك يعد تأميناً حقيقياً لمستقبل الأمة وراثنا حقيقياً لاستمرارها ورفيها وازدهارها.

غير أن المتتبع للواقع المعاش يجد أنه وبالرغم من القفزة النوعية التي عرفتها مختلف الدول ومن بينها الجزائر على وجه الخصوص في مجال الاهتمام بفئة الأطفال من خلال تكريس عدة آليات لحمايتها ومواجهة ظاهرة الانتحار والتي نأخذ منحنى تصاعدي بالموازاة مع التطور التكنولوجي وهنا نقصد الانترنت بالضبط وما توفره من مناخ مساعد لهذه الظاهرة ، إلا أن استفحالها يجعل الجهات المعنية بالمواجهة في سباق مع الزمن لتحسين وتحديث الآليات المعتمدة للقضاء على هذه الظاهرة أو الحد منها على الأقل ، ونظرا لأهمية الموضوع ارتأينا تغطية العديد من المفاهيم الخاصة به وذلك عن طريق طرح الاشكالية التالية ما هو مفهوم الانتحار و ما هي مسبباته ؟ ، و من اجل تغطيتها اعطينا لها تقسيما منهجيا على الوجه التالي :

المطلب الاول: تعريف الانتحار

الفرع الاول: التعريف اللغوي و الاصطلاحي للانتحار

أولاً: الانتحار لغة.

الانتحار كلمة مشتقة من كلمة نحر أي ذبح أو قتل أو انتحر أي قتل نفسه و ذبحها¹ ينتحر انتحر انتحار الرجل يقتل نفسه²

ويعرف أيضا على أنه "قتل الإنسان نفسه" قتل الذات بذاتها، وهذا مفهوم مشتق من كلمة مركبة من أصل لاتيني من فعل caedere بمعنى يقتل، والاسم sui بمعنى الذات أو النفس والكلمة كلها تشير إلى من يقتل نفسه وفي العربية كلمة انتحار مشتقة من الفعل نحر، أي ذبح³

ونقول " انتحر ينتحر انتحارا ، الرجل "قتل نفسه ووضع حد لحياته"

ثانيا: الانتحار اصطلاحا

يعرفه العام الاجتماعي الفرنسي إميل دور كايم "الانتحار يشير الى الموت الذي بصورة مباشرة لفعل ايجابي أو سلبي قام به الشخص المنتحر"

ويفرق "هيلفاكس" بين السلوك الانتحاري الإرادي إن صح التعبير وبين أشكال الموت الجماعي وأهمها التضحية ، فالانتحار هو حالة الموت الناتج عن فعل يأتيه الضحية لنفسه قصد قتلها نفسها وليس التضحية بما لشيء آخر ، فهو موت إرادي يقدم عليه الفرد للتخلص من مشاكله وصعوباته غير المحتملة التي نشأت من حياته في الجماعة ويقوم بنفسه في اختيار الوسيلة التي تحقق له انتحارا تاما⁴

ويعرف أيضا على أنه قتل الإنسان لنفسه وإزهاق روحه باستخدام وسائل عدة، فمن الناس من ينتحر ملقيا نفسه من ارتفاع شاهق أو متناولاً لمادة سامة تؤدي إلى الموت أو مستخدماً لأداة حادة قاتلة مثل السكين أو الخنجر أو غير ذلك من الأدوات ، ولعل الملاحظ لكافة الشرائع السماوية يجد أن الانتحار محرم، ولقد أكد الإسلام على تحريمه تحريماً قاطعاً لا لبس فيه ، وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجأ بما في بطنه في نار جهنم خالد فيها أبداً ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالد فيها أبداً .

فعلة تحريم الانتحار شرعا أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب الروح التي استودعها جسد بني آدم فلا يملك الإنسان من تلقاء نفسه التخلص منها لأنها أمانة عنده وأن الله تعالى هو وحده من يحيي وهو وحده جل وعلا من يميت يعرف الانتحار أيضا لدى علماء النفس كما يرى فرويد "أنه عدم القدرة على تقبل نتيجة لعدم قدرة على تقبل أي إصابة وعلى أنه شكل من أشكال العقاب الذاتي وهو رغبة موت موجهة نحو الغير تنقلب ضد الذات، فهو يؤكد نظرة علم النفس المرضى فيما يخص السلوك الانتحاري هو قتل النفس بالنفس وإعطاء الموت لنفس إرادي في غالب الأحيان للتححر من ظروف أصبحت غير مطابقة،فهو يظهر في كل المجتمعات

ثالثا: المنظور القانوني للانتحار:

إن الملاحظ للقانون الجزائري يجد أنه لم يتعرض لجريمة انتحار الأطفال بشكل دقيق وإنما تكلم عن تحريم الأفعال المساعدة عن الانتحار ، وفي هذا الصدد نصت المادة 273 من قانون العقوبات الجزائري "كل من ساعد عمدا شخصا في الأفعال التي تساعد على الانتحار أو تسهله له أو زوده بالأسلحة أو السم أو بالألات المعدة للانتحار مع علمه بأنها سوف تستعمل لهذا الغرض يعقاب بالحبس من سنة إلى خمس سنوات إذا نفذ الانتحار " ⁵

فبناء على ما تقدم نلاحظ أن مقتضيات هذه المادة لم تجرم السلوك الصادر عن المنتحر ويمكن أن يرد ذلك عدة سواء أكانت اجتماعية أو نفسية الخ فتدخل المشرع وفقا للنص السالف الذكر جاء ليس لتجريم فعل الانتحار وإنما تجريم السلوك المتمثل في المساعدة أو التسهيل أو التعويض فهذا النص غير واضح لأنه غيب المتابعة في حالة الوفاة ، و الوضع في هذه الحالة ليس له اي مجال ، والملاحظ أن جل المنظومات التشريعية في العالم نزع

عن هذا الفعل الصفة الجرمية، وبالتالي وفقا للنص أعلاه لا يعد الانتحار جريمة من الناحية القانونية وهذا لانعدام النص.

الفرع الثاني: تاريخ ظاهرة الانتحار:

إن المتتبع لتاريخ ظاهرة الانتحار يجد أن جذورها تمتد لعصور غابرة، إذا أنها كظاهرة كانت موجودة حتى في المجتمعات البدائية، بحيث أثبتت الدراسات "كوتي وويس" عن 400 مجتمع بدائي في جميع أنحاء العالم، إذ بينت الدراسة أن هذه الظاهرة قديمة قدم الإنسان وعريقة عراقية الجريمة، بحيث كان يعتبر الانتحار إثما وفعلا مستهجنًا وشنيعا في القرن الخامس ميلادي عندما هاجم القديس أوغسطين الانتحار ولقد اختلفت المجتمعات البدائية في طريقة الانتحار⁶

ويشير مالفينوفسكي أن هذه الظاهرة كانت منتشرة على نطاق واسع لدى قبائل جزر التروبريان وأكدت بندق عام 1953 إلى شيوع الانتحار في جماعة الدوبو بجنوب المحيط الهادي وفي جماعات الكوكيوتيل في شمال أمريكا.

بالإضافة إلى ما قلناه عرفت المجتمعات في العصور الوسطى ظاهرة الانتحار، ففي اليونان مثلا كان يطلب من المحكم عليه بالإعدام تناول السم بيده، وكان يعتبره الفيلسوف اليوناني "ديوجينيس" أمر عادي وأوصى به العقلاء والشجعان ودافع عنه الفيلسوف أبيقور وقال فلنقدم الشكر على ما من رجل يجبر على أن يعيش ضد إرادته في مركز غير جدير بنفسه، وفي عهد الإمبراطورية الرومانية كان للشريف الروماني أن يلجأ للانتحار إذا تورط في موقف سيء إلى سمعته وكرامته.

غير أن المسألة تختلف تماما في العصور الحديثة، بحيث أصبح الانتحار يمثل مشكلة تثير الخوف والقلق والاستنكار على المستوى الاجتماعي والأخلاقي والديني تقريبا في معظم المجتمعات⁷

المطلب الثاني: أهم النظريات المفسرة لظاهرة الانتحار وموقف الإسلام منها:

وفي هذا الصدد سنحاول التطرق لأهم النظريات وهذا على النحو التالي:

أولا: النظرية النفسية:

ومحسب رواد هذه النظرية فإن الدراسات الكلاسيكية المبنية على متابعة مختلف الأشكال الحادة للاضطرابات العقلية، منها اضطرابات المزاج وإدمان الكحول والفصام تبين أن 10-15% من المصابين يموتون على إثر الانتحار كما أن نصف المنتحرين تجد في سجلهم المرضى ولو اتصال واحد بمصالح الطب وهذا الاتصال يجعل خطر الانتحار يتضاعف بنسبة 26 مرة خلال السنة التي تليه، حيث أن البحوث التي تعتمد على الفحص النفسي الدقيق، تقر بوجود اضطراب عقلي لدى 90% من المنتحرين والتشخيص الغالب في معظم الأحيان يكون سبب الاكتئاب 50% أو تعاطي الكحول أو الفصام لدى أكثر من 5%.

ومحسب المشتغلون بالطب العقلي فإن هناك ارتباط وثيق بين الصحة العقلية والسلوك الانتحاري حيث تبين لهم ارتفاع نسبة الانتحار لدى نزلاء مصحات الأمراض العقلية بوجه عام.

ثالثا: التفسير الاجتماعي لظاهرة الانتحار.

إن الانتحار جريمة والجريمة هي شكل من أشكال الخروج عن قواعد السلوك التي يضمنها المجتمع لتنظيم حياة أفراد. وفقا لقيمه ومعايير التي ارتضاها لضبط سلوك الأفراد وحمايتهم، إذ أن من الحقائق الاجتماعية أن لكل مجتمع أنظمتة الاجتماعية وأعرافه وآدابه السلوكية وطرقه الشعبية التي تضبط سلوك أفراد ومن هذا المنطلق انطلق مؤسس علم الاجتماع إميل دوركايم في تفسير ظاهرة الانتحار حيث وضع سنة 1897 كتابه الانتحار وكان أول من تعرض لمفهوم الانتحار وأعراض السلوك الانتحاري وأعتبر الانتحار ظاهرة اجتماعية ودلالة على طبيعة الأخلاق السائدة في مجتمع معين وبذلك عارض ورفض بشدة التفسيرات السائدة في الإحصاءات عند التبدلات التي تطرأ عن نسبة الانتحار في الزمان والمكان⁸

ثالثا: الاتجاه العضوي والبيوكيميائي لظاهرة الانتحار

ويرى أصحاب هذا الاتجاه هدف البحوث و الدراسات ذات الاتجاه العضوي أدت الى وصف ظاهرة الانتحار وربطها بمجموعة من الأعراض لتكون تناذرا خاصا ثم تصنيفها ضمن بعض الاضطرابات العضوية.

ولهذا قام Esquirol (1938) رائد الاتجاه العضوي بدراسة مدى تواتر السلوك الانتحاري عند المرضى العقليين ووصل الى أن الانتحار هو عرض سيكوباتي وأن الإنسان لا يضع نهاية لحياته إلا في حالة الهذيان وبهذا خلص إلى أن كل المنتحرين هم مختلفين ، ولقد أخذ العديد من السيكا تريين نفس المنحنى مثل Charles و Achile blondel 1930 حاولوا أن يجعلوا من المنتحر مريض عقلي وهذا قصد إبعاد المنتحر عن عالم الأسوياء وتصنيفه ضمن الشواذ.

وهكذا إنطلق الاتجاه العضوي من افتراض أساسي مفاده أن المنتحر.

- مريض عقلي
- الانتحار عارض وليس مرض
- الانتحار راجع إلى قلق عضوي يطغي على المزاج ويظهر في العديد من الاضطرابات العقلية⁹

الفرع الثاني: حكم الانتحار في الإسلام:

إن الانتحار وفق لشريعتنا الإسلامية الغراء لا يأخذ حكما واحدا بل قد تعتريه الأحكام الخمسة ولعل أصدق معيار يحدد به حكم فعل المكلف هو كون هذا الفعل مرادا للشارع أو غير مراد، فالمراد للشارع هو ما حدث عليه أو رغب فيه فهذا إما أن يكون واجبا، أو مندوبا وغير المراد للشارع هو ما نهي عنه أو حذر منه فهذا إما أن يكون محرما أو مكروها فإن كان دافع الشخص لتعريض نفسه للهلاك امتثال الأمر الله ورسوله فلاشك أن هذا إذا هلك بهذا السبب يكون مأجورا، فمثلا الجهاد في سبيل الله مراد للشارع، فقد أمر به وحث عليه ورغب فيه على الرغم من أنه قد يأتي على نفس الإنسان أو طرفه ومع ذلك فإنه من حمل على الصف امتثالا لأمر الله وإعلاء لكلمته فقد عرض نفسه للهلاك وعمله هذا انتحار، لكنه واجب أو مندوب إليه لترغيب الشارع فيه قال تعالى: " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون"¹⁰

فعموما يعتبر الانتحار في الإسلام كبيرة من الكبائر سواء في القرآن تبعا لقوله تعالى "ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما" .

وقوله تعالى "ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا"¹¹ وقوله أيضا "ولا تقتلوا بأيديكم إلى التهلكة"¹² بالإضافة إلى ذلك نجد أن سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نعت عن الانتحار، بحيث روى أبي هريرة فقال قال رسول الله (ص): "من قتل نفسا فحديده بيده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتردى في جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا" رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخنق نفسه يخنقها في النار والذي يطعننها يطعننها في النار" رواه البخاري

المطلب الثالث: أسباب وطرق الانتحار

الفرع الأول: أسباب الانتحار

إن استظهار ظاهرة الانتحار في مجتمعاتنا العربية وخاصة في الجزائر والتي أخذت فيها هذه الظاهرة أبعاد خطيرة مرده لمجموعة من الأسباب والتي يمكن أن نوجزها فيما يلي:

أولا العنف الأسري:

إن العناية بالطفل من الجوانب النفسية التربوية والثقافية والاجتماعية تعد جوهر التنمية الشاملة وإحدى أولويات جهودها وبرامجها فهي التزام ديني ووطني وقومي وإنساني تابع من العقيدة والقيم والتراث والتطلعات. فالطفل من حقه الرعاية والتنشئة الأسرية القائمة على الاستقرار الأسري والدفء والتقبل وإحلاله المركز اللائق به في الأسرة ما يمكنه من التفاعل الإيجابي في رحابها ما يضمن تلبية وإشباع حاجاته البيولوجية و النفسية والروحية والاجتماعية بما يسر له بناء شخصية مستقلة وحرية في الفكر والرأي تتكافأ مع قدراته دون تمييز بين البنين والبنات¹³

فالعنف الذي قد يمارسه الأولياء على أطفالهم والذي قد يتخذ عدة صور معنوية ومادية لإهانات ولاعتداءات جسدية وغيرها التي قد تكون أحيانا ظاهرة للعيان تترك أثارا كارثية في نفسية الطفل مما يؤثر على ملكاته الذهنية لسلوك طريقة الانتحار وعموما فإن الانتحار وعموما فإن العنف من الناحية القانونية هو كل مساس سلامة جسم المجني عليه أو حقه في الحياة من شأنه إلحاق الإيذاء والتعدي عليه وقد ذكر (معجم المصطلحات القانونية) . أن العنف هو (ضغط عنيف على المرء باستعمال وسائل من شأنها أن تؤثر في إرادته، وهذه الوسائل إما أن تقع على الجسم وهو ما يسمى بالإكراه الحسي أو المادي وإما أن تكون تهديدا بإلحاق الأذى وهو ما يسمى بالإكراه النفسي ، ويقصد به أيضا كل الجرائم التي تستخدم القوة أو التهديد لترويع الآخرين أو تحقيق أهداف شخصية سياسية غير مشروعة وغير قانونية وممارسات العنف النفسي بكل أشكاله اعتبارا من التحقير الى غسل الدماغ وإصابة الآخرين بالهلوسة وفقدان العقل¹⁴

ثانيا: المشاكل النفسية

إن الرعاية النفسية حق للطفل كما له الحق في التعبير عن نفسيته وإرادته وحقه في بيئة أسرية تكفل له الرعاية النفسية والاجتماعية وفقا لمصلحة الفضلى.¹⁵

فالعوامل النفسية مثل الاكتئاب الحاد يؤدي إلى بالطفل إلى فقدانه الاهتمام بمحيطه وفقدانه الأمل وبالتالي يكون السلوك الانتحاري أقرب إليه.

بالإضافة إلى ما قلناه هناك ما يعرف بالهوس الاكتئابي وهو تقلب المزاج فتارة يشعر بالفرح وتارة يشعر بالحزن وللأسف فإن واحد من كل ثلاثة أشخاص مصابين يحاولون الانتحار.

كذلك نجد من العوامل النفسية الفصام، وهو عبارة عن حالة نفسية طويلة المدى تسبب اللاشعور ورؤية أمور غير موجودة بالواقع والهلوسات وحتى تفسير في تصرفات المصاب وتشير الإحصائيات إلى أن واحد من كل عشرين مصاب يحاولون الانتحار.

وهناك من العوامل النفسية ما يعرف بالاضطرابات الشخصية الجدية كعدم استقرار المشاعر وكذلك عامل فقدان الشهية العصبي الخ

ثالثا: أسلوب التربية العائلية وتصدع الأسرة:

ذلك أن الحياة العائلية تعطي الطفل نموذج للسلوك الفردي داخل الجماعة وسلوك الجماعة إزاء الفرد، ومن ثم فهي نقطة البدء في سبيل التثقيف الاجتماعي للفرد. بالإضافة إلى ذلك نجد أن تفكك الأسرة أيضا يسمى العوامل المؤدية لمثل هذه السلوكيات المؤدية للجريمة سواء كانت وجدانية أو ثقافية أو اقتصادية، فالوفاة مثلا أو الطلاق تتسبب في صدمة عاطفية للأولاد¹⁶

رابعا: الإدمان والبطالة

يعتبر هذان العاملان محفزان لسلوك الطفل المراهق بالذات فالمدمن على المخدرات والخمور غالبا ما يدخل في دوامة من الاكتئاب ويفكر في الانتحار خاصة لما لا يجد المال الكافي لشراء هذه المواد ، كما أن خروج الطفل المراهق من المدرسة ودخوله إلى عالم الشغل والحيادة العامة عندما يكون عاطلا عن العمل تتشكل لديه مشاعر سلبية ويشعر أنه أقل كفاءة من غيره وتنتابه أفكار بالانتحار

الفرع الثاني: طرق الانتحار أنواع الانتحار

هناك عدة طرق للانتحار ولعل حسب الدراسات نجد أن نسبة الشباب أكثر من نسبة كبار السن وبالأخص العزاب والذي يقومون بالسلوك الانتحاري باستخدام عدة مواد مثل المبيدات الحشرية والحبوب الطبية، كما أن الدراسات أثبتت عدة طرق أخرى كاستخدام السلاح الناري أو شق النفس أو الحرق أو المعادات الكيميائية أو قطع الأوردة¹⁷

وفي هذا الإطار وصل إميل دور كايم إلى وضع أربع أنواع من الانتحار هي.

- **الانتحار الأناني:** وهذا يكون في حالة الروابط بين المنتحر والغير متراخية أو محطمة وما نتج عنه فردية مفرطة مما يقود المنتحر إلى تنفيذ هذا السلوك.

- الانتحار الايثاري: ويكون في حالة اندماج كلي لشخصية الفرد في الحماية أو الأسرة وفقدانه شخصيته.
- الانتحار اللا معياري: يشير هذا النوع من الانتحار إلى حالة فقدان البنية الاجتماعية لقيمة المعايير الاجتماعية الضابطة لسلوك الفرد ويقصد بذلك فقدان الفرد في نشاطه للتنظيم والمعايير التي تضبطه وتنظمه
- الانتحار القدرى: وهي حالة التنظيم المفرط والقيود المشدد التي تؤدي إلى الانتحار

الخاتمة

من خلال ما تقدم ومن خلال وقوفنا على بض المفاهيم ذات الصلة بهذا الموضوع واطلاعنا على بعض الدراسات ومقالات في هذا المجال نرى بأن الانتحار كظاهرة يعتبر النواة التي يعول عليها الجنس البشري لاستمراره، والمسألة تكمن في إيجاد حلول فعالة من خلال الوقوف على المسببات لهذه الظاهرة ومن بعد ذلك الانطلاق نحو تكريس الآليات المناسبة بسواء من منظور اجتماعي أو نفسي أو ثقافي أو قانوني ومن أي منظور للقضاء على هذه الظاهرة أو الحد منها على الأقل.

الهوامش:

¹ أمال غزال ، دراسة سيكوباتولوجية للفتيات المحاولات الانتحار في حالة الفشل العاطفي، اطروحة دكتوراه في علم النفس العيادي و المرض ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران السنة الجامعية 2015، ص 21

² علي بن هادية و بلحسن البليش و الجيلاني بن الحاج يحي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، الطبعة السابعة 1991 ص 68 .

³ عريوة عبد الله: طرق الوقاية والعلاج لطبيعة الانتحار في المجتمع الجزائري ، رسالة ماجستير علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2008/2009 ص11

⁴ عريوة عبد الله: المرجع السابق ص11

⁵ القانون رقم 66_156 المؤرخ في 18 صفر 1386 الموافق لي 08 يونيو 1966 يتضمن قانون العقوبات المعدل والمتمم

⁶ هريوة عبد الله : مرجع سابق، ص14

⁷ عريوة عبد الله: مرجع سابق، ص15

⁸ طاووس زاوي: ظاهرة الانتحار بين التفسير الاجتماعي والتشخيص والنفسي مقال منشور لمجلة جامعة ورقلة ، العدد 8 سنة 2012 ص64 مخبر تطور الممارسات النفسية

⁹ عبد الحفيظ معوشة: الميول الانتحارية وعلاقتها بتقدير الذات عند الشباب، رسالة ماجستير في علم النفس وعلوم التربية، جامعة بسكرة، الجزائر ص 66

¹⁰ عبد الله بن حمد الفطمل: مقال معالم نظرية الانتحارية الفقه الإسلامى، المجلة العربية للدراسات الأمنية ، المجلد 15 العدد 30، ص14

¹¹ القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 29،30

¹² القرآن الكريم : سورة البقرة، الآية 195

¹³ منى يونس بحري، نازك عبد الحليم: العنف الأسرى، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011 ص127

¹⁴ ألاء عدنان الوقفى: الحماية الجنائية لضحايا العنف الأسرى، دراسة مقارنة، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مصر، ط1 2014 ص25

¹⁵ وفاء مرزوق: حماية حقوق الطفل، منشورات الجلبى، ط1، 2010، ص90،

¹⁶ أنور الشرقاوى: إنحراف الأحداث ، مكتبة الانجلو مصرية، مصر، ط2، 1976، ص 181،182

¹⁷ منى يونس، نازك عبد الحليم: مرجع سابق، ص66